

أسطورة

رغد تركماني



وحى القلم

أسوة

رغد تركماني

تصميم:-

غلاف خارجي: مريم أحمد

غلاف داخلي: رحاب جمال

تعبئة وتنسيق: رحاب جمال

عمل فريق جروب

وحي القلم

https://www.facebook.com/groups/wahy.alqalam/?ref=share_group_link

إهداء

إلى كل ابنة وأم، إلى كل زوجة وأخت، إلى
كل فتاة على وجه هذه الأرض، أنتن لستن
نصف المجتمع فقط، أنتن الحياة
بأكملها.

يجلس أمام حاسوبه النقال، يرتشف
كوباً من القهوة الساخنة ويتابع عمله
ناقراً على أزرار حاسبه محاولاً إنهاء عمله
مسرعاً، بعد مدة ليست بالقصيرة، أغلق
الحاسب وعاد إلى الوراء ساندًا رأسه على
ظهر مقعده، أغمض عينيه وأخذ يدلك
ما بين حاجبيه محاولاً إدخال بعض
الهواء لرئتيه، شرد قليلاً وعاد بذاكرته إلى
أيام من الماضي ولّت، إلى بضعة شهورٍ
فقط قبل أن يسافر إلى بلدٍ أجنبي هرباً
من الحروب التي قامت ببلاده.

دخل إلى منزله وأغلق الباب بقوة ورائه،
دلف إلى إحدى الغرف، فوجد أخته
جالسة على هاتفها منمكة بشيء ما،
تقضم أظافرها منتظرة إحدى الأشياء،
ألقي تحية باهتة وكأنَّ إلقاءها واجب
محتّم عليه، ردّت عليه أخته بابتسامة
خفيفة ونظرات متوترة، تجاهل توترها
وذهب إلى مطبخ المنزل متتبعا رائحة
الطعام الصادرة منه، دلف إلى المطبخ
ووجد الطعام ما زال يُطبخ على النار،
فعاد أدراجه بنظراتٍ نارية تكاد تحرق كل
من حوله.

- لماذا لم تنه إعداد الطعام إلى هذه اللحظة؟

بغضبٍ نطق سؤاله موبخاً أخته

- لقد كنتُ مشغولة بدروسي ولم أجد وقتاً حتى أوفق بين أعمال المنزل وبينها.

- لا أعلم ماذا تفعلين طيلة اليوم فأنت تجلسين بالمنزل ولا تخرجين إلا بضع ساعاتٍ لمدرستك، ماذا تفعلين بالوقت المتبقي؟ إنكن لا تقدرن تعبنا، فنحن نكابدُ طيلة اليوم لنؤمّن لكم لقمة العيش وأنتم لا تبادلوننا بنصف ما نبادلكم به، قدّر من الطعام تفشّلين بإعداده، يا لكِ

من فتاة مهملة!

كانت تنظر إليه وتكاد تفتك به من شدة
غیظها، عضت على شفتها مانعةً لسانها
من الردّ عليه، كبحت جماح غضبها
وتسلحت بالهدوء:

- دقائق قليلة ويكون طعام الغداء جاهز.

- سأذهب لتغيير ملابسني، وعندما أنتهي

أمل أن أجديك قد انتهيت من إعداده.

توجه إلى إحدى الغرف، وأخذ منامته

البيتية، خلع ملابسسه وألقاها بإهمالٍ

أرضًا، فتح إحدى الدروج وبعثر محتوياته

باحثًا عن مشطه وجدّه ومشط شعره

وألقاه جانباً، خرج من الغرفة تاركاً أبواب
خزانتة والدروج مفتوحة.

- أين هي أمك؟

- ما زالت في المستشفى عند جدي.

- متى ستعود من عنده فلقد مللت وضع
بيتنا فأنت لستِ أهلاً لإمساك البيت من
بابه لمحرابه.

نظرتُ إليه بصدمة وأبتُ دموعها
الصمت فتجمعت بعينيها، خبّئت قهرها
وكسر خاطرها، وجلبت إحدى الصحون
وبدأت بسكب الطعام وهي تطرق كل شيء
يخرج بوجهها محاولة تفرغ غضبها، رنّ

جرس المنزل بإنهاكٍ نطقت:

- عمار، افتح الباب، هذا أباك قد جلب

أمك لتأكل معنا.

- وما شأنني أنا، أنا متعب أعمل طيلة

النهار، لست مثلك أجلس بالمنزل ولا همّ

لي.

- والله سأخبر والديك بكل شيء، إن لم

يعجبك وضع المنزل فلتخرج منه أو

فاصمت واحترم ساكنيه.

أخذت تهدأ من أعصابها ثم ختمت

انفجارها عليه بجملة خافتة وهي تذهب

لفتح الباب.

- في بعض الأحيان أشعر أنني عدوة لك
ولست أختك.

رد عليها بصوت عالٍ:

- سأخرج من المنزل قريبًا وأسافر إلى مكان
بعيد ولن تروجهي هذا بعد الآن.

فتحت باب المنزل واستقبلت أمها
بابتسامة، اطمأنت على جدها وحاولت
طمئنت أمها عليه، دخلت لغرفة النوم
لتجلب ملابس أمها، فصعقت من
منظرها المذري، أين تعب الساعات التي
قضتها ترتب بها هذه الغرفة حتى تأتي أمها
وتجد جميع المنزل مرتب وتفرح به،

اتجهت إلى أمها والدماء تتطاير من رأسها
أخذتها جانبًا وقصّت عليها كل ما حدث.

- لا تخافي يا ابنتي، أنا أقدرّ تعبكِ، سلمت
يمناكِ لمجهودك الذي تبذلينه، سأحدث
أخاكِ و أفهمه خطأه ولكن مرة أخرى لا
تتطاولي عليه، فمهما قال لكِ يبقى هو
أخاك الأكبر واحترامه واجب عليكِ مهما
فعل.

هزت "أسوة" رأسها بصمت ودلفت هي
وأمها إلى غرفة الجلوس، التفت العائلة
حول مائدة الطعام، وضع عمار لقمة في
فمه ومن ثم سرعان ما أخرجها من فاهه،

نظر بقرف إلى أخته "أسوة":

- يا إلهي، صحنٌ من الطعام لا تجيدين

طهيه، لماذا لم تضعي له ملحاً يكفيه؟

قامت أسوة عن المائدة مسرعة إلى غرفتها

باكيةً ظلم أخيها لها.

تبادل الوالدان النظر إلى بعضهما سويًا،

ثم بدأ الوالد بالحديث:

- انظريا عمار، إن رأيتَ نفسك قد كبرتَ

وأصبحتَ شاباً ذو شَكِمة هذا لا يعني

أبداً أن تقلل من قيمة أختك أمامي، أنت

بوجودي ليس لك سُلطةٌ عليها، أنت ترفع

صوتك أمامي دون أن تحترم وجودي

ووجود أمك وعلى من تتجبر؟ على أختك
من لحمك ودمك، إنني هنا أمامك حيّ
أرزق وتعاملها بهذا الشكل فكيف إن متّ
فكيف ستعاملها يا سندها؟

رد عمار بلهفة:

- أطال الله بعمرِكَ يا أبي، لا عاش من
ينقص من قيمتك أو يقلل من احترامك.
أكملت أمه:

- أنتَ تعلم أن أختك وقتها مليء بالمشاغل
ومع ذلك لا تقصر بشيء، تذهب إلى
مدرستها وتعود لتوضيب المنزل، تقلل من
ساعات نومها لأجل دراستها، ألا تحتاج

بعد كل تعبها كلمة جميلة منك تجبرها
خاطرها؟، يا ولدي، لا تحقن من
معروفها، نحن نمربوضع صعب، جدك
بالمستشفى ولا أستطيع تركه، هي من
طلبت مني أن أترك لها مسؤولية المنزل
أجمع وهي من أصررت، ألا يجب أن تقدر
تعبها؟، جميعنا نمرتحت ضغط وأيام
صعاب، كل منا يجب أن يتنازل قليلا، هي
ليست معتادة على القيام بالأعمال أجمع
ومع ذلك هي لم تقصر بشيء، فتاة بمثل
عمرها لا تستطيع القيام بأعمال المنزل
والمطبخ والطهي، يا ولدي.. الأخوة ليست

مجرد كلام ودفتر عائلة يجمع بين أسماء
الأفراد، الأخوة جدار متين لا تهدمه الأيام
وكتف ثابت لا يميد، الأخوة كنز كل ما
حفرت لأجله أعطاك أكثر، يا بني لا
تستخف بكسر خاطرها ولا تجعل غضبها
وغيظها سبب سعادتك، هي أختك وترى
القوة بك، إن جارت الدنيا عليها يوماً
فمن لها غيرك؟ سهباب الناس ظلمها
لأنهم يعلمون أن وراءها أسد لا يرحم من
ظلمها، قم يا بني، انهض وطيب خاطرها
بكلمتين لطيفتين منك ستجد نفسها
ملكت العالم أجمع ولن تنساها لك طيلة

عمرها.

- أنا أعلم أنني أخطأت بحقها، لكنني
متعب من العمل فأفرغت غضبي بها وهي
أيضاً تناولت عليّ وقللت من قيمتي
بكلامها الذي ينقط سُمّاً.

رد والده ناصحاً إياها:

- من قال لك أن أعمال المنزل لا تتطلب
وقتاً وجهداً؟ من قال لك أن الوقوف في
المطبخ في البرد والحرّ لا يُتعب؟ يا ولدي
أنت تأتي من عملك تجد لقمة جاهزة
تأكلها، تجد بيتاً مرتباً ودافئ ينتظرك، تجد
نظرات وابتسامات تقدر تعبك فتنسبك

إياه، عندما تمرض هناك يداً حنونة
تطبّط عليك وحصن دافئ يحتويك، إنك
لن تشعر بقيمة تلك الأشياء حتى تفقدها
ولا أفقدك الله إياها يوماً.

تولت أمه دفعة الحديث وأكملت:

- ومن ثم أنت من استفزرت أختك حتى
قابلتك بفضاظة، هذا لا ينفي خطأها
ولقد حدثتها مثل ما حدثناك، ولكن الآن
انهض وصالحها هيا يا عمار، أنا أعلم أن
قلبك يقطر حناناً ولن تترك أختك
مكسورة الخاطر.

نهض والده وجلس أمامه ثم ربّت على

كتفه وأكمل:

- المرأة في الإسلام خلقت مكرّمة قد جعل
الله لنا قوامه عليها لنصونها لا لنهينها
لنحميها لا أن نكون أول من يؤذيها وقد
أوصانا رسولنا الكريم ﷺ بها فقال عنهنّ
أنهنّ المؤمنسات الغاليات فهنّ نكهة هذه
الحياة وقال عنهنّ رفقا بالقوارير لشدة
رقة قلوبهنّ وحتى كنّ من آخر وصاياهم وهو
في سكرات موته فقال أوصيكم بالنساء
خيراً.

ردد الصلاة على النبي بعد والده وبدى أنه
قد علم خطأه فنهض شاعراً بالندم

والذنب يتلبسه، ذهب للغرفة التي بها
أخته كي يصالحها، بقي يلاطفها ويمازحها
حتى رأى ابتسامتها واختفاء الدموع من
عينها، حملها وأعادها إلى مائدة الطعام
وهي تقهقه فرحاً، لم ينسَ نظراتها إليه،
ولم ينسَ امتنان والديه له بل هو من كان
ممتناً لنصائحهم، يومها شارك أخته
بتنظيف المائدة، لكنها أبت أن يساعدها
فقط طلبت منه أن يقف بجانبها ليسلّيها
وهي أكملت التنظيف، بعدها دخلوا
ليشربوا كأساً من الشاي، التمت عائلته
الصغيرة وسادت أجواء الفرح، كان ينظر

لأخته بعمق عينيها فيرى كم هي سعيدة،
سعيدة لأنها شعرت أنها لا تهون، وأن
لحزنها قيمة، انعزل بنظراته وحيداً
مفكراً بسفره وابتعاده عن أهله وجملة
والده ترن بأذنه "لن تشعر بقيمة تلك
الأشياء حتى تفقدها ولا أفقدك الله إياها
يوماً" كانت نظراته خائفة، خائفة من
ذلك اليوم الذي سيأتي لا محال.

عاد من ذاكرته محاولاً تناسي آلامه مردداً
بصوت هامس:

- يا ليت الأمر يقتصر على أعمال المنزل
فقط، فإني مشتاقٌ وفي قلبي لوعة لا

يطفئها إلا اللقاء، لم أكن أعلم أنّ الغربة مؤلمة إلى هذا الحدّ فبعد غرّبتني علمتُ أنّ انتظاري لإنهاء عملي وعودتي للمنزل لم يكن شوقاً له بل شوق لساكنيه، تلك الألفة التي تحيطُ بقلبي حين عودتي إليه لم تكن بسببه بل كانت بسبب أفراده، حتى الضوضاء التي كانت تزعجني حينها الآن اشتاقها ومللتُ هذا الهدوء الذي يلفني.

نهض إلى مطبخه، وقف أمام الثلاجة وفتحها

- ماذا ستطهي اليوم يا عمار؟

بعد بضعة دقائق من التفكير اختار
الطعام الذي سيأكله، أخرج مقلاة وزيتاً
ووضع القليل منه ثم وضع المقلاة على
النار، أتى ببعض البصل وقطّعها ليضعها
على الزيت، وفي أثناء وضعه البصل على
الزيت مالت المقلاة وأريق بعض الزيت
على أرضية المطبخ.

بنفاد صبره تف:

- يا إلهي، لماذا يحصل لي كل هذا.

جلب أدوات التنظيف وجلس أرضاً وبدأ
بمسح أرضية المطبخ، وفي أثناء مسحه
اشتمّ رائحة احتراق شيء ما، تعالت

دقات قلبه، توسعت حدقاته وتحجرت
مقلتاه وتوقف تنفسه بضع سويعات
وبعدها عاد له التفكير دفعة واحدة،
فترك من يده ونهض مسرعاً ليُطفئ النار
على البصل والزيت، فتشنج عاموده
الفقري من قيامه المسرع وبقي مدة
مطويماً على نفسه كاجأ آهات ألمه، تمسك
برخام المطبخ واضعاً يده على ظهره مقوِّماً
إيَّاه، مشى ببطء وأطفئ النار، بدأ
بالقيام بعدة حركات رياضية كي يمرن
ظهره حتى انفكت عنه التشنجات، عاد
إلى المطبخ وأمسك بهاتفه ينتظر أرضية

المطبخ لكي تنشف، فتح إحدى مواقع التواصل وقلب قليلاً ومن ثم قابل إعلان لإحدى مساحيق الغسيل فضرب على رأسه متذكراً الملابس التي وضعها في غسالة منزله من يومين ونسي إخراجها ونشرها، ركض نحو الغسالة متناسياً بلل الأرضية فتزحلق ووقع أرضاً، فتح عيناه ثم عاد وأغلقها وبقي مدة قصيرة على هذه الحال يحاول إبعاد الغباشة عن ناظره، توضحت الرؤية أمامه، سأل نفسه محاولاً التذكر.

- أين أنا؟

قابله السكون وتربياً له أن سقّف المنزل
يشمت به ويضحك عليه، حاول الجلوس
وعظامه تأنّ الماء من أثر
سقوطه، جاهد ليقف فلم تسعفه
قدمه، ذهب إلى غرفة الجلوس يعرج
عليها، انتظر مدة فوجد لونها وقد مال
للأزرق فعلم أن بها خطب ما، أخذ
مفاتيحه ومحفظته ونزل من المنزل يعرج
عليها، استقلّ إحدى سيّارات الأجرة
ووصل للمستشفى، عالجه الطبيب
وأخبره أن قدمه تعاني من "تمزق أربطة
وشعْرُ بسِيط في مشط القدم"، أعطاه

عدّة أدوية وحقنة مسكنة للألم وأوصاه
ببعض الراحة ومن ثم عاد إلى منزله،
أكمل إعداد الطعام بصعوبة كبيرة، ومن
ثم دخل إلى غرفة جلوسه، وضع الطعام
على طاولة صغيرة بالقرب منه وجلس
على الكنبه ممدداً قدمه مريحاً إيّاها، نظر
حوله، سلة الغسيل وقد انتشرت رائحتها
في أرجاء الغرفة نظراً لتركها يومان في
الغسالة، الطعام المحترق أمامه وقدمه
الملتفة بشرائط طبية، السكون يحيط
به ولا يوجد أنيس له يؤنسه ويخفف عليه
آلامه، فتح هاتفه وقلّب بصوره هو

وعائلته تذكّر جلساته معهم مزاحه
وخلافاته مع أسوة وكلام والدته ووالده
نطق بتأثر والحنين يتصاعد في قلبه.

- إني أحتاجكم الآن، أحتاجكم وبشدة،
لقد شعرت بقيمة العائلة يا أبي، لقد
أدركتُ قيمة كل شيء بعد فقدانه.

وماهي إلا بضعة ثوانٍ مرّت حتى تصاعد
رنين هاتفه مضيئاً باسم اخته "أسوة"
ابتسم ونطق بشجن:

- حتى في ابتعادي عنكم ما زال صوت
احتياجي يصلكم.

تمت بحمد الله

٦:٥٨ مساءً